الملتقى الاستراتيجي
Strategic Forum

مقالات الملتقى

استراتيجية إيران الجيوسياسية

في غرب آسيا

احتواء الجغرافيا والتاريخ

FOLLOW US NOW

إستراتيجية إيران الجيوسياسية في غرب آسيا: احتواء الجغرافيا والتاريخ

د. آرش رئيسي نژاد

أستاذ مساعد في العلاقات الدولية، جامعة طهران

المحتويات

توطئة.....3
نبذة مختصرة.....3
المقدمة.....3
أولًا: سياسة إيران الخارجية غير الدولتية.....4
ثانيًا: الأسس الجيوسياسية والعزلة الإستراتيجية لإيران.....5
ثالثًا: انعدام الأمن التاريخي.....7
البحث عن القوة.....9
رابعًا: الشاه، الجمهورية الإسلامية والسياسة الخارجية غير الدولتية لإيران.....11
انعدام الأمن التاريخي وعقلية التطويق.....12
الضعف والاقتراب من مصادر التهديد.....12
الشرق الأوسط ومحنة إيران الجيوسياسية.....14
الخاتمة.....17

توطئة

يوجد الكثير من الجدل حول دوافع السياسية الإيرانية الخارجية، التي تمتد تأثيراتها إلى الخليج واليمن ولبنان وسوريا وجنوب القوقاز، ويسعدنا في "الملتقى الإستراتيجي" أن نقدمَ ترجمة ورقة بحثية نشرها آرش رئيسي نژاد الأستاذ المساعد في العلاقات الدولية بجامعة طهران في العدد رقم 31 من دورية "Iranian Review of Foreign Affairs (IRFA) " النصف سنوية التي يصدرها معهد الأبحاث الإستراتيجية بإيران.

نبذة مختصرة

لقد جذب عمق وتوسع الارتباطات المثيرة للجدل لإيران مع وكلائها الأنظار، وبينما تُهدر الكثير من الطاقات في مناقشة السياسة الإقليمية لإيران، فقد ركزت غالبية التحليلات، إما بقصد أو دون قصد على سردية "الهجوم الفارسي الشيعي".

تسعى هذه الورقة إلى تعقب جذور السياسة الإقليمية لإيران عبر جغرافيتها وتاريخها الفريدين، فمن غير الممكن فصل السياسة الإقليمية لإيران عن إستراتيجياتها الجيوسياسية ومن أجل تسليط الضوء على هذه الإستراتيجيات، تبدأ الورقة بتتبع صعود سلالة الأخمينيين الفرس وصولًا إلى إنشاء الجمهورية الإسلامية وستركز على القوى الرئيسية التي تقف خلف سياسة إيران وإستراتيجياتها الإقليمية.

تشرح الورقة مفهومًا أساسيًّا هو "العزلة الإستراتيجية" باعتباره سمة دائمة لإيران، وذلك من خلال التركيز على لعنة الجغرافية وشعور إيران التاريخي الذي لازمها بإنعدام الأمن، وسيظهر معنا تأثير العزلة الإستراتيجية لإيران على سياستها الخارجية غير الدولتية وعلى علاقاتها الإستراتيجية مع الجهات العسكرية غير الحكومية بهدف احتواء أعدائها الإقليميين. وفي النهاية ستناقش الورقة كيف أنَّ هذه السياسة الخارجية غير الدولتية التي تبنتها الدولة الإيرانية للحفاظ على وحدة وأمان البلاد، أوقعتها في مأزق جيوسياسي دائم وعمقت الأزمة الإقليمية في الشرق الأوسط.

المقدمة

لا تزال "المعضلة الفارسية" تشغل مراكز البحث الغربية؛ نظرًا لأنَّ إيران كانت حليفًا سابقًا وثيقًا للولايات المتحدة في غرب آسيا ثُمَّ أظهرت رفضها لسياسة ما بعد الحرب الباردة في الشرق الأوسط من خلال دعمها لجهات عسكرية وسياسية غير دولتية. وسنجد أنَّ غالبية الأبحاث الأكاديمية تبني نموذجها التفسيري لدوافع السياسة الإقليمية لإيران على السرديات الثقافية والإيديولوجية والقيميَّة أو ما يسمى بعقيدة الهجوم الفارسي الشيعي عند قادة إيران، بدلًا من تفسير دوافع إيران عن طريق تناول مصالحها الوطنية والإقليمية.

ولتجنب هذه الرؤية العمياء التي تحرمنا من التفسير الموضوعي، يجب أن يعادَ النظر في النموذج التفسيري للسياسات الإقليمية لإيران وتنقيته من التحيزات التحليلية المسبقة عبر التركيز على العوامل الحيوية الدافعة والمرتكزات الرئيسية المكونة لسياستها، وانطلاقًا من هذا المنظور تقدم الورقة فَهمًا جديدًا لإستراتيجية إيران الجيوسياسية الخاصة بدعم وكلائها وتوضح تطور إستراتيجيتها ضمن التفاعل المستمر بين محيطها الجغرافي وتاريخها.

"ما العوامل وعلى أي مستويات تحليلية ومن خلال أي آليات تتشكل إستراتيجية إيران الجيوسياسية؟" هذا هو السؤال المركزي الذي يوجه السرد التحليلي في الورقة المرفقة. وضمن هذا الإطار، تتبع الورقة إستراتيجية إيران الجيوسياسية في المنطقة فيما يتعلق بسياستها الخارجية غير الدولتية، وفي الخطوة التالية تتتبع الورقة الجذور الرئيسية لهذه الإستراتيجية من خلال تسليط الضوء على مفهوم "العزلة الإستراتيجية" بكونها سمة دائمة للبلاد. وتتبع هذا المفهوم من خلال التركيز على "انعدام الأمن التاريخي" للبلاد وجغرافيتها الفريدة.

وأخيرًا وليس آخرًا، تُقيّم الورقة ملامح السياسة الإقليمية لإيران ومسارها المستقبلي الممكن لموازنة القوى الإقليمية في غرب آسيا، مع التركيز على المأزق الجيوسياسي لإيران. باختصار تركز الورقة على العاملين الأكثر ديمومة والمؤثرين في تشكيل إستراتيجية إيران الجيوسياسية، وهما الجغرافيا والتاريخ.

أولًا: سياسة إيران الخارجية غير الدولتية

تسعى الإستراتيجية الجيوسياسية إلى تعزيز أمن وازدهار الدولة، ويشير هذا المصطلح إلى "الإستراتيجية المهتمة بالجغرافيا السياسية". فالإستراتيجية هي كيفية التفكير في استخدام القوة؛ فوَفقًا لفريدمان الإستراتيجية هي فن خلق القوة لتحقيق أقصى هدف سياسي ممكن باستخدام الوسائل العسكرية المتاحة (Freedman ، 1992). أو وَفقًا ل (Gray and Sloan ، 2014: 169): هي نتاج حوار بين السياسة والقوة العسكرية، بمعنى الموازنة بين الأهداف السياسية والوسائل العسكرية.

على الجانب الآخر فإنَّ الجيوسياسة "الجيوبولتيك" هي دراسة تأثير الجغرافيا على السياسة، فالغاية منها هي معرفة كيفية تأثير العوامل الجغرافية على العلاقات بين الدول والصراع من أجل الهيمنة (Foster ، 2006: 1). إنَّ الجيوسياسة هي دراسة وممارسة تركز على العلاقات الدولية وكيفية تأثير القوة والنظام العالمي والجغرافيا على هذه العلاقات، كما تهتم بفَهم كيفية تأثير العوامل المكانية على السياسة الدولية والإقليمية والمحلية وكيف تمنح هذه العوامل البعد الجغرافي للسياسة وتؤثر في توجهاتها وإستراتيجياتها (Gray and Sloan ، 2014: 164).

من خلال ربط الجغرافيا المادية بالصراع على السلطة، تغذي الجيوسياسة الإستراتيجية، ومن خلال الجمع بين مفهومي الجيوسياسة والإستراتيجية، فإنَّ الإستراتيجية الجيوسياسية هي دمج الاعتبارات الإستراتيجية مع العوامل الجيوسياسية، إنَّها استراتيجية وسياسة خارجية تسترشد في الأساس بالعوامل الجغرافية أثناء صياغة التخطيط السياسي والعسكري.

وفي هذا السياق تستمد الإستراتيجية الجيوسياسية من السرديات الجيوسياسية التي تتناول مواقع جغرافية محددة، ومن ناحية أخرى تشير الإستراتيجية الجيوسياسية إلى إستراتيجية محددة نشأت من الروايات الجيوسياسية، تلهم هذه الروايات رجال الدولة إستراتيجيات محددة لزيادة القوة والأمن الوطنيين.

وفي الوقت نفسه، تستهدف الإستراتيجية الجيوسياسية موقعًا أو مواقع جغرافية محددة، ومن هذا المنظور فإنَّ إستراتيجية الاحتواء الشهيرة لجورج كينان التي اعتمدت على التطبيق البارع واليقظ للقوة المضادة في سلسلة من النقاط الجغرافية والسياسية المتغيرة باستمرار (Kennan ، 1947) لم تكن إستراتيجية جيوسياسية لأنَّها لم تشر إلى مواقع جغرافية محددة. وعلى العكس من ذلك، دعت نظرية نيكولاس سبيكمان حول "الحزام الساحلي-ريم لاند" إلى إستراتيجية جيوسياسية من خلال استهداف مواقع جغرافية محددة: "من يسيطر على الحزام الساحلي يحكم أوراسيا؛ من يحكم أوراسيا يتحكم في مصائر العالم" (Spykman ، 2017).

مثل أي إستراتيجية تتطلب الإستراتيجية الجيوسياسية استخدام الوسائل العسكرية والتواجد في مواقع جغرافية محددة، وهو ما يترافق عادة مع إنشاء قواعد عسكرية وبناء شبكة من التحالفات الحكومية وغير الحكومية. باختصار الإستراتيجية الجيوسياسية هي مظهر من مظاهر تشكيل الدولة لقوتها في العالم، وتتجلى إستراتيجية إيران الجيوسياسية في بناء شبكات واسعة مع وكلائها الإقليميين. وفي مرحلة ما بعد الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003، توسعت هذه الشبكات إلى مستوى غير مسبوق، لدرجة أنَّ عبد الله الثاني ملك الأردن صاغ في نهاية عام 2004 مصطلح "الهلال الشيعي" المثير للجدل، وقد قال الملك آنذاك: "إذا سيطر الأحزاب أو السياسيون الموالون لإيران على الحكومة العراقية الجديدة، فقد يظهر هلال جديد من الحركات أو الحكومات الشيعية المهيمنة سيمتد من إيران إلى العراق وسوريا ولبنان، لتغيير توازن القوة التقليدي بين الطائفتين الإسلاميتين الرئيسيتين ويطرح تحديات جديدة لمصالح وحلفاء الولايات المتحدة " (Wright and Baker ، 2004).

لقد رأى الزعماء العرب السنة في المنطقة أيدولوجية الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 كقوة محفزة لتكوين الهلال الشيعي، ووَفقًا لهذا التصور تمثل الثورة الإسلامية لعام 1979 تغييرًا حقيقيًّا في مسار السياسة الإقليمية لإيران، ومع ذلك تتجاهل هذه

الرؤية تتبع جذور دعم إيران لوكلائها الإقليميين قبل تأسيس الجمهورية الإسلامية؛ ففي أواخر الخمسينيات بدأت إيران في عهد البهلويين بتقديم دعم كبير للأكراد العراقيين بقيادة الملا مصطفى برزاني بهدف الحد من نفوذ النظام العراقي في بغداد المدعوم من السوفييت.

وفي الوقت نفسه بدأت إيران في دعم المجتمع الشيعي اللبناني النائي والمعزول، حيث غادر موسى الصدر طهران متجهًا إلى مدينة صور، ومن المثير للاهتمام أنَّ جمهورية إيران الإسلامية اتبعت الإستراتيجية نفسها مستندة إلى الأيديولوجية الثورية للإسلام الشيعي السياسي.

وفي الواقع فإنَّ إستراتيجية إيران الجيوسياسية جزء من سياستها الخارجية غير الدولتية، وترتبط هذه السياسة بكيفية بناء وإدارة علاقات الدولة مع جهة غير حكومية من خلال آليات تتجاوز السياسة الخارجية الشائعة (Reisinezhad, 2018: 3)).

لقد صيغت سياسة إيران الخارجية غير الدولتية لاحتواء التهديدات الإقليمية حول هيكل من الروابط الإستراتيجية مع الجماعات والحركات السياسية المتشددة في المنطقة، وقد ظهر دعم إيران للجهات الفاعلة العسكرية والسياسية غير الدولتية في المنطقة في خضم الحرب الباردة بينما وصل إلى ذروته في عهد الجمهورية الإسلامية.

ونقول إنَّ استمرار هذه السياسة أكثر من ستين عامًا يؤكد أنَّ جذور إستراتيجية إيران الجيوسياسية لا ترتبط في الأساس بالأيديولوجية الثورية للإسلام الشيعي السياسي.

ثانيًا: الأسس الجيوسياسية والعزلة الإستراتيجية لإيران

إنَّ دعم إيران للجهات غير الدولتية في عهد البهلويين يُظهر أنَّ القوة الدافعة وراء إستراتيجية إيران الجيوسياسية تتمثل في "العزلة الإستراتيجية التاريخية". يُشير هذا المصطلح كما صاغه محيي الدين مصباحي، وهو إستراتيجي إيراني بارز، إلى أنَّ "إيران كانت دائمًا بمفردها من الناحية الإستراتيجية، سواء بشكل متعمد أم تلقائي، ولم يكن لديها تحالفات ذات أهمية ولم تنضم إلى جانب قوى كبرى في الساحة الدولية". (مصباحي، 2011: 9-34)، ويشير ذلك إلى حقيقة أنَّ إيران وحيدة في التخطيط وتنفيذ إستراتيجياتها، وكذلك في مقاومة إستراتيجيات أعدائها.

وهذا يعني أنَّ إيران تأخذ قراراتها وتنفذ إستراتيجياتها بمفردها وتقاوم إستراتيجيات أعدائها دون التعويل على تحالفات إستراتيجية، وهذا يظهر أنَّ الأمن الوطني لإيران ليس معتمدًا على علاقاتها مع القوى الكبرى، وذلك على النقيض من إسرائيل وتركيا اللتين ارتكزت عقيدتهما الأمنية الوطنية على التحالف الإستراتيجي مع الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي.

والأهم من ذلك فإنَّ العزلة الإستراتيجية لإيران لا تعني أنَّها معزولة عن العالم كليًّا، بل على العكس إنَّ موقعها الجغرافي المركزي والأيديولوجية الثورية التي تتبناها والتوترات المعقدة مع الولايات المتحدة جعلتها منخرطة في قلب ومفترق الطرق لجميع القضايا الإقليمية الكبرى وأحيانًا العالمية التي تؤثر في النظام الدولي." (مصباحي، 2011). وباختصار إنَّ مفهوم 'العزلة الجيوسياسية' مفهوم سخيف بالنسبة لبلد مثل إيران تعرضت تاريخيًّا إلى ضغوط جيوسياسية كبيرة.

ومما لا شك فيه أنَّ عزلة إيران الإستراتيجية اشتدت مع الثورة الإسلامية عام 1979 وأزمة الرهائن التي أعقبتها، وفي وقت لاحق أعادت الحرب الإيرانية العراقية (1980-1988) التأكيد على العزلة الإستراتيجية، حيث حاربت إيران الثورية نظام البعث الشمولي المدعوم من القوى العظمى في الحرب الباردة وحلفائها، ومنذ التسعينيات خضعت إيران إلى عقوبات قاسية بسبب برنامجها النووي ودعمها لوكلائها الإقليميين، ولم يمض وقت طويل حتى دفعت إيران الثمن عندما فقدت الجنرال سليماني، حيث لم تقف أي دولة إلى جانب طهران في ردها على الولايات المتحدة وكان ذلك أحدث مظهر من مظاهر العزلة الإستراتيجية لإيران التي حُرمت من حلفاء على مستوى الدول.

ومع ذلك لم تكن العزلة الإستراتيجية حكرًا على الجمهورية الإسلامية الإيرانية فقط، ففي القرن التاسع عشر حاول ملوك القاجار في إيران التحالف دون جدوى مع قوى ثالثة، بما في ذلك فرنسا والولايات المتحدة لتحييد النفوذ الروسي والبريطاني القوي في البلاد، وبعد أن فقدوا مقاطعات واسعة في القوقاز وآسيا الوسطى وجنوب آسيا اكتشفوا أنَّ إيران تفتقر إلى حليف

طبيعي.

وعلى الرغم من كراهيته تجاه أسلافه القاجاريين، اتبع رضا شاه بهلوي المنطق نفسه عندما بدأ في التقرب من ألمانيا النازية، ومع ذلك سرعان ما دفع الثمن عندما أُجبر على الاستقالة من العرش في عام 1941 مباشرة بعد الاحتلال الأنجلو سوفيتي لإيران، وقد شعر الشاه أيضًا بِناءً على غريزته وتجربته بالعزلة الإستراتيجية السائدة في إيران، وعلى عكس الرأي الشائع، لم يشعر أبدًا بدعم الولايات المتحدة الكامل لإيران وكان يعلم أنَّ اهتمام الولايات المتحدة بإيران ليس حقيقيًّا، ففي أواخر الأربعينيات أخبره سفير الولايات المتحدة بأنَّ "أمريكا لن تذهب إلى حرب مع السوفييت بسبب إيران أو لإنقاذها" (Parsi2007: 25).

لقد كان الشاه على دراية تامة بأنَّه في حالة تعرضه إلى هجوم مباشر أو غير مباشر من الاتحاد السوفيتي، ولا سيما اجتياح من موسكو أو من أحد حلفائها الإقليميين، لن تضمن أي دولة وحدة إيران الوطنية ولم تتمكن اتفاقية الدفاع المتبادل بين إيران والولايات المتحدة في عام 1959 ولا حلف بغداد عام 1955 ولا وريثه حلف السينتو في عام 1959 من إزالة مخاوفه الجيوسياسية، وفي رحلته إلى موسكو عام 1974 أوضح الشاه رؤيته الحقيقية تجاه الاتفاقيات الإقليمية وقال للزعيم السوفيتي بريجنيف: "أريد مشاركة إحدى تجاربي معك... إنَّ المنظمات والتحالفات الدولية لا جدوى لها وهي غير فعالة." (Alam، 1995: 249-250). وفي ذروة الحرب الباردة كانت إيران محاطة بالاتحاد السوفيتي وحلفائه الإقليميين في أفغانستان والعراق وكانت تركيا وباكستان غير مستقرتين وكانت دول الخليج العربية ضعيفة، لذلك لم يكن غريبًا أن يرى الشاه بلاده تفتقر إلى حليف طبيعي وبالتالي شعر بعدم الأمان، وقد شارك الشاه شعوره بعدم الأمان مع مساعده المقرب أسد الله علم، حيث قال: "نحن في وضع رهيب منذ أن أحاطت بنا كماشة موسكو عبر كابول وبغداد"، (Alam ، 1995: 259). أظهرت العزلة الإستراتيجية في عهد إيران البهلوية، أنَّ البلاد تفتقر إلى حلفاء يمكن الاعتماد عليهم، خاصة في ظل التهديدات العسكرية، وفي حساباته الجيوسياسية لم تعوض العلاقة مع الولايات المتحدة ولا الاتفاقيات الإقليمية الدفاعية بشكل كامل العزلة الإستراتيجية لإيران، وفي هذا المنعطف التاريخي بَنَتْ إيران البهلوية سياسة خارجية غير دولتية مع الأكراد العراقيين وبدرجة أقل مع الشيعة اللبنانيين للتعويض عن عزلتها الإستراتيجية وافتقارها إلى حليف يمكن الاعتماد عليه.

تبنت إيران في العهد البهلوي سياسة خارجية غير دولتية ولاحقًا اتبعت الجمهورية الإسلامية النهج نفسه، لكن هذه المرة تحت عنوان "تصدير الثورة" المزعوم، وسرعان ما رأت إيران الثورية نفسها محاطة بالقوتين العظميين وحلفائهما لقد أكدت الحرب الدموية مع حزب البعث في العراق أنَّ إيران كانت تحت حصار دائم.

واصفةً إياه بعنوان "تصدير الثورة" وجدت إيران الثورية نفسها سريعًا محاطة بالقوتين العظميين وحلفائهما، وأكدت الحرب الدموية مع العراق البعثي أنَّ إيران كانت تحت حصار دائم حتى في مرحلة ما بعد الحرب، أكدت العقوبات الأمريكية الممنهجة ضد إيران على عزلتها الإستراتيجية التاريخية، ولمدة أكثر من أربعة عقود افتقرت إيران إلى حلفاء من القوى العظمى في مواجهة الولايات المتحدة.

وليس من الغريب أن يتوصلَ القادة الثوريون إلى استنتاج حاسم مماثل مفاده أنَّ إيران ليس لديها خيار سوى الاعتماد على العلاقات الإستراتيجية مع الجهات العسكرية والسياسية غير الدولتية في المنطقة للحفاظ على الأمن القومي للبلاد، وبإيجاز فإنَّ ما يكمن تحت سياسة إيران الخارجية غير الدولتية يعتمد بقلة على الأيديولوجية الإيرانية وسياسة تصدير الثورة وبكثرة على العزلة الإستراتيجية التاريخية لإيران.

باختصار تمثل العزلة الإستراتيجية قوة دافعة رئيسية واضحة وراء السياسة الخارجية غير الدولتية لإيران، وقد أدت هذه العزلة إلى تأثير طويل الأمد على إستراتيجية إيران الجيوسياسية التي تتمثل أساسًا في الدفاع عن أمن البلاد وسلامة أراضيها خارج حدودها، وهذه العزلة أفضت إلى حقائق مهمة لسياسة إيران الإقليمية؛ أولًا تاريخيًّا كان هناك تحالف إستراتيجي طبيعي بين أعداء إيران في المنطقة، بمعنى آخر ركزت الدول الإقليمية والقوى العظمى المتحالفة معها بشكل رئيسي على الضغط على إيران حتى تقويضها على الرغم من وجود توترات حادة بينهم.

وثانيًا لو اكتفى بالدفاع عن الحدود الأمامية للبلاد فقط، ستؤدي هذه الإستراتيجية إلى هزائم مدمرة وإذلال وطني، وفي هذا

السياق فإنَّ بناء علاقات إستراتيجية مع جهات غير دولتية -مثل المقاتلين الأكراد العراقيين في عهد بهلوي ومن ثَمَّ المجموعات الشيعة في عهد الجمهورية الإسلامية- يشكل رصيدًا حيويًّا لطهران لاحتواء التهديدات الإقليمية والعالمية، بمعنى آخر إنَّ نشر القوات الإيرانية في مناطق النزاع خارج البلاد هو وسيلة ملحوظة لتوسيع نفوذ إيران خارج حدودها لمعالجة العزلة الإستراتيجية ولردع التهديدات الخارجية.

فمنذ عهد بهلوي إلى الجمهورية الإسلامية، توصل الزعماء الإيرانيون إلى نتائج مماثلة ترتبط بالعزلة الإستراتيجية للبلاد ولا يهم ما إذا كانت الأيديولوجية للقادة قومية/علمانية أم إسلامية/دينية -فإيران تفتقر إلى حدود دفاعية طبيعية وتواجه عزلة إستراتيجية واضحة، وعلى هذا النحو تبنى الزعماء الإستراتيجية الجيوسياسية نفسها للحفاظ على الأمن القومي للبلاد عبر دعم جهات غير دولتية سياسية وعسكرية في المنطقة، ببساطة إنَّ العزلة الإستراتيجية هي الأساس الذي تقوم عليه إستراتيجيتها الجيوسياسية، الذي يوجه سياستها الإقليمية في غرب آسيا.

ثالثًا: انعدام الأمن التاريخي:

إنَّ عامل العزلة الإستراتيجية لإيران متجذر في انعدام الأمن التاريخي (Reisinezhad، 2018:325)، يُظهِر ملخص لتاريخ إيران الطويل نمطًا دائمًا ساهم في تشكيل عزلتها الإستراتيجية، وبالتالي إستراتيجيتها الجيوسياسية، حيث إنَّ إيران كأقدم دول العالم وأكثرها نشاطًا وُلدت كقوة مهيمنة إقليمية عندما غزا قورش الكبير بابل في 29 أكتوبر 539 قبل الميلاد، ومنذ انهيار الإمبراطورية الأخمينية في عام 330 قبل الميلاد، تذبذب مصير إيران بين 'الاحتلال المدمر' و 'التطويق العسكري'. وبعد فترة شهدت فيها إيران ذروة مجدها التاريخي أُضطرت عامة إلى اتخاذ مواقف دفاعية بدلًا من الهجوم، فقد فرضت القوى الإقليمية وغزوات القبائل البدوية تهديدات متواصلة على أمنها القومي، والاستثناء الوحيد كان الحكم القصير لنادر شاه (1736-1747 م) الذي أحيا هيمنة إيران الإقليمية مؤقتًا، علاوة على ذلك أدت الحروب المتواصلة مع القوى الإقليمية الكبرى إلى استنفاذ قدرة إيران، كما تركت البلاد ضعيفة لا تستطيع احتواء المزيد من التهديدات الخارجية المجهولة والخطيرة.

كذلك فإنَّ الضغط الجيوسياسي المستمر جعل الملوك الإيرانيين منشغلين دائمًا بمحاربة الغزاة الخارجيين، ولذلك ليس من الغريب أن تكونَ السلطة المركزية في إيران عرضة للتهديدات الداخلية وأعمال الشغب التي تمثل تحديًّا للأمن القومي للبلاد. باختصار كانت إيران تحت الحصار والاحتلال المدمر والانهيار الداخلي أكثر من ألفي عام.

تأسست السلالة الفارسية الأولى، الأخمينية (550-330 قبل الميلاد) على يد قورش الكبير (559-530 قبل الميلاد) بعد غزو ليديا في آسيا الصغرى وبابل الجديدة في بلاد ما بين النهرين والشام، أنشأ قورش إمبراطورية امتدت من وادي فرغانة ونهر السند في الشرق إلى قطاع غزة ومضيق البوسفور في الغرب، وقد غزا ابنه وخليفته قمبيز الثاني (530-522 قبل الميلاد) مصر والنوبة وشرق ليبيا، وفي وقت لاحق حكم داريوس الكبير (522-486 قبل الميلاد) أكبر إمبراطورية شهدها العالم من ليبيا والدانوب في الغرب إلى هضبة كشمير وسهول بامير في الشرق (Hinz وآخرون، 1992)، لكن هذه الهيمنة الإيرانية الإقليمية لم تعتمد فقط على الإنجازات العسكرية، بل بُنيت أيضًا على تسامح ديني وثقافي غير مسبوق فُرض لأول مرة بأمر من قورش الكبير (Koch ، 1992؛ Holland ، 2005). ومن خلال التبشير برؤية عالمية لحقوق الإنسان في وقت أبكر بكثير من نسختها الحديثة، أضفت هذه الرؤية الفريدة للحرية الدينية الشرعية التي ساهمت في إطالة عمر الأسرة الأخمينية أكثر من قرنين من الزمن.

تحدت مدينتا أثينا وإسبرطة في اليونان القديمة الهيمنة الفارسية، حيث أنهت حروب اليونان والفرس (499-449 قبل الميلاد) الحملات العسكرية الفارسية الناجحة وتركت أوروبا آمنة من الحكم الفارسي، وردًا على ذلك بدأ الملوك الفرس في تبني سياسة فرق تسد (Dandamaev, 1989: 256) ووضعوا إسبرطة في مواجهة أثينا لمنع دول المدن اليونانية من تحويل

حملاتها العسكرية إلى بلاد فارس.

كانت الحروب البيلوبونيسية (479-431 قبل الميلاد) من المظاهر الرئيسية للنسخة الفارسية من سياسة "الاحتواء المزدوج"، وأدت في النهاية إلى "سلام الملك" الذي اعترف بالهيمنة الفارسية في بحر إيجه (Xenophon ، 2000)، ومن المثير للدهشة أنَّ الإمبراطورية الفارسية انهارت في عام 330 قبل الميلاد على يد قوة ظهرت حديثًا، لكنها غير معروفة -مقدونيا- وقد كان هذا أول تدمير للدولة في إيران.

بعد ذلك حكم الإسكندر وخلفاؤه السلوقيون في آسيا (312 ق.م. - 63 ق.م.) إيران أكثر من قرن وانتعشت إيران في نهاية المطاف مرة أخرى تحت حكم الفرس من سلالة أرساسيد (247 ق.م. - 224 م) وامتدت أراضي إيران من نهر الفرات إلى الهندكوش لما يقرب من خمسة قرون، وكانت الإمبراطورية البارثية محاطة بالرومان في الغرب وإمبراطورية الكوشان في الشرق (Sarkhosh and Stewart، 2017)وكان هذا أول تطويق عسكري لإيران في التاريخ.

وعلى النقيض من الأخمينيين لم يتمتع البارثيون أبدًا بإرادة قوية للهيمنة الإقليمية ولم يكن لديهم القدرة على فرضها (Farrokh, 2007; Rae, 2014)، مما دفع بالبلاد إلى موقف دفاعي نظرًا للحروب المستمرة مع القبائل الشرقية وخاصة القوات الرومانية (شيلدون، 2010)، وقد استنزفت هذه الصراعات الجيوسياسية حكومة أرساسيد وجعلت البلاد عرضةً للتحديات الداخلية، مما أدى في النهاية إلى الإطاحة بالحكم الفارسي الساساني.

لم تتغير سياسة إيران الإقليمية الدفاعية إلى حد كبير، خلال الإمبراطورية الفارسية الثانية والإمبراطورية الساسانية (224-651 م)، التي حكمت منطقة شاسعة من كشمير وبلاد ما وراء النهر إلى نهر الفرات والبحر الأسود. وعلى الرغم من أنَّ الملوك الساسانيين كانوا أكثر نجاحًا في مواجهة التهديدات الإقليمية، فإنَّهم مثل أسلافهم البارثيين تمامًا (Daryaee, 2014)، كانوا محاطين بالرومان ثُمَّ البيزنطيين في الغرب والهون ثُمَّ الأتراك في الشرق أكثر من أربعة قرون.

وفي هذه الحقبة أصبح التطويق العسكري الإيراني أكثر قسوة، لأنَّه في عدة حالات كانت هناك تحالفات إستراتيجية بين البيزنطيين والأتراك في شن هجمات على الأراضي الإيرانية (Dignas and Winter، 2007؛ Maksymiuk، 2015)، أدت الحروب المستمرة على الجبهات الشرقية خاصة الغربية إلى إضعاف القوات العسكرية الإيرانية ومهدت الطريق لتدميرها للمرة الثانية، وغزت قوة جديدة صاعدة من العرب المسلمين إيران للمرة الثانية.

تحت حكم الخلافة العربية الراشدة (632-661 ميلاديًا) ولاحقًا الأمويين (661-674 ميلاديًا)، تحدى الإيرانيون الهيمنة العربية العنصرية -التي جاءت على عكس رسالة الإسلام التي تُعلِن المساواة والأخوة بين جميع المسلمين- من خلال موجات متتالية من الانتفاضات غير الناجحة بقيادة أبي مسلم الخراساني، ونجح الإيرانيون في النهاية في الإطاحة بالأمويين العرب واستبدالهم بالعباسيين في عام 750 ميلاديًا، الذين أولوا اهتمامًا أكبر بالعرق الفارسي.

على مر الزمن بدأ الإيرانيون في استعادة هياكل حكوماتهم المحلية، ومع ذلك تأثرت هذه المساعي بغزوات القبائل التركمانية في عام 1040 ميلاديًا مما أخر تجديد إيران الكامل، وبالرغم من ذلك أدت قوة وجاذبية الثقافة والحضارة الإيرانية إلى إضفاء الطابع الفارسي على السلالات التركية، وفي النهاية دمرت قوات عسكرية من المغول ثُمَّ التتار البلاد بالكامل في ثلاث موجات من الغزو بقيادة جنكيز خان وهولاكو خان وتيمورلنك، وقد ترك هذا الدمار بصمة عميقة على تاريخ إيران بين منتصف القرن الثاني عشر وأواخر القرن الخامس عشر.

وبعد مرور ثلاثة قرون من التدمير المستمر، عادت إيران أخيرًا إلى الظهور تحت حكم الصفويين (1501-1756 م) وأعاد الشاه إسماعيل الأول (1501-1524 م) توحيد البلاد وحكم منطقة شاسعة من الفرات وما وراء القوقاز إلى هندوكوش ونهر أمودايا (Newman، 2008)، لكن الأهم من ذلك الدور الذي لعبه في إعادة بناء الهُوية الوطنية الإيرانية من خلال تعزيز

الإسلام الشيعي الاثنا عشري بكونه جزءًا أساسيًا من الثقافة الإيرانية.

كان لظهور دولة شيعية جديدة وقوية في المنطقة تداعيات كبيرة على المجتمعات الشيعية الأخرى في غرب آسيا، في حين حث ذلك القوى السنية في الإمبراطورية العثمانية في الغرب والخانات الأوزبكية في الشرق على التحالف ضد الصفويين الشيعة، وهكذا حوصرت إيران مجددًا، على الرغم من أنَّ هذه المرة كانت أكثر حدة منذ أن تداخلت المنافسة الجيوسياسية في غرب آسيا مع الصراع الجيوثقافي الشيعي السني (Fragner، 2005).

هذا التطويق القاسي وضع البلاد مرة أخرى في موقف دفاعي وجعل الملوك الصفويين منشغلين باستمرار بقتال القوى السنية على الجبهتين الغربية والشرقية وترك البلاد في النهاية عرضة للمتمردين المحليين، وفي النهاية أُطيح بالمملكة الصفوية على يد المتمردين الأفغان السُّنة من قندهار (Matthee، 2011).

ولمدة قرن كامل تقريبًا عاشت إيران حالة من الفوضى حتى ظهور نادر شاه (1736-1747 م) الذي اعتبر "فاتح آسيا"، حيث هزم نادر القوى السنية للأتراك العثمانيين والخانات الأوزبكية هزيمة حاسمة وبلغ ذروة حملاته العسكرية في غزو دلهي عاصمة إمبراطورية المغول الهندية العظيمة، ففي أعقاب سقوط الإمبراطورية الأخمينية الفارسية كانت هذه هي المرة الوحيدة التي أحيت فيها إيران تفوقها الإقليمي، على الرغم من قِصَر هيمنتها الإقليمية.

مع اغتيال نادر في 20 يونيو 1747 انتشرت الفوضى في كل مكان في إيران حتى تأسيس حكم القاجار في أواخر القرن الثامن عشر، والاستثناء الوحيد برز في فترة قصيرة من حكم كريم خان زند (1751-1779م) الذي جلب السلام للبلاد مدة عقدين فقط.

البحث عن القوة

بعد اغتيال نادر شاه بدأت إيران تدريجيًا تجد نفسها محاصرة من القوى الغربية، لكن هذه المرة على يد روسيا القيصرية والمملكة المتحدة، وفي السنوات الأولى من حكم القاجار بدأ الروس في بذل الجهود للوصول إلى الخليج العربي للتعويض عن افتقارهم التاريخي إلى موانئ المياه الدافئة واحتلت روسيا أخيرًا الأراضي الإيرانية التاريخية في القوقاز أثناء الحروب الروسية الفارسية (1804-1813 و1826-1828)، ومنذ ذلك الحين أصبحت التوسعية الروسية كابوسًا مزعجًا لملوك القاجار، وفي الوقت نفسه أكمل البريطانيون غزو شبه القارة الهندية، ومن وقتها حددت المنافسة على "جوهرة التاج البريطاني" مسار العلاقة الفارسية البريطانية (Mahmud، 1999)، وإدراكًا منها للحقيقة التاريخية والمنطق الجغرافي بأنَّ الطريق البري الوحيد لغزو الهند هو ممر خيبر، فتدخلت لندن بقلق شديد في شؤون إيران الداخلية لمنع صعود «نادر الثاني»، وليس من الغريب أنَّهم هاجموا جنوب إيران عندما استعادت طهران مدينة هيرات من المتمردين الأفغان، ثُمَّ أجبرت ناصر الدين شاه القاجار على التنازل عن مدينة هيرات وغرب أفغانستان لصالح إمارة كابول المدعومة من البريطانيين في معاهدة باريس عام 1857، وفعلًا انتهت مواجهة إيران الأولى على المستوى الدولي للسياسة العالمية بهزائم مذلة.

بعيدًا عن ضعف القاجار فإنَّ ما كان كامنًا تحت هذه الهزائم المتتابعة هو "اللعبة الكبرى" باعتبارها السمة المميزة للمنافسة الجيوسياسية الروسية البريطانية في القرن التاسع عشر في أوراسيا، بينما كان القياصرة الروس قلقين بشأن الضم البريطاني لإمارة أفغانستان وآسيا الوسطى، وخطط البريطانيون لاحتواء الغزوات الروسية في جنوب آسيا من خلال جعل أفغانستان محمية واستخدام حزام جيوستراتيجي من الولايات العازلة يمتد من خانية خيوة في الشرق إلى الإمبراطورية العثمانية في الغرب (Gebb، 1983).

كانت إيران في القلب الجغرافي للصراع، وبالتالي حددت جهود السيطرة على إيران مسار الاحتكاك بين روسيا وبريطانيا

وحولت إيران إلى ساحة القتال الرئيسية في "اللعبة الكبرى" (Ewans، 2004)، وضمن هذا السياق تلاشى استقلال إيران الكامل بسبب خسارتها أجزاء كبيرة من أراضيها، وكان الملوك الفرس محاطين بإمبراطوريتين قويتين في ذلك الوقت وقد اتبعوا توازنًا دقيقًا، لكنه سيئ السمعة من خلال منح امتيازات اقتصادية لروسيا وبريطانيا لمنع تفكك إيران الكامل.

وبحلول نهاية اللعبة الكبرى كانت إيران قد خسرت مناطق شاسعة في الشمال الشرقي لصالح روسيا وفي الجنوب الشرقي لصالح كابول المدعومة من بريطانيا والهند البريطانية، وظلت اللعبة الكبرى تستحوذ على البلاط والنخب الإيرانية وشكلت سياسات إيران الإقليمية والداخلية.

في خضم تلك الأيام المظلمة افتقرت إيران وجود حليف استراتيجي في صياغة سياستها الخارجية المستقلة، ولم تقبل موسكو ولندن قط تدخل قوة ثالثة بما فيها الفرنسية والأميركية في شؤون إيران، ولم يكن مسموحًا لأي من الفرنسيين أو الأميركيين أن يلعبوا دورًا رئيسيًّا في إيران. والأسوأ لم يأت بعد، فقد وافقت المملكة المتحدة وروسيا في نهاية المطاف على وقف منافسة اللعبة الكبرى في بروتوكولات لجنة حدود بامير لعام 1895 فقط لمنع ألمانيا (Gerard، 1897؛Siegel ، 2002)، وفي وقت لاحق قسمت الاتفاقية الأنجلو-روسية لعام 1907 أراضي إيران إلى ثلاث مناطق نفوذ ومهدت الطريق لتحالف أوسع بين لندن وموسكو ضد ألمانيا الصاعدة، والواقع أنَّ مركز التحالف المناهض لألمانيا لم يكن في أوروبا الشرقية أو الجبهة الغربية؛ بل كانت إيران (Frankopan، 2016) وأظهرت هذه التحولات حقيقة مريرة للنخب الإيرانية مفادها أنَّ التوازن طويل الأمد لكنه الكارثي بين روسيا وبريطانيا لن يكون فعالًا إذا وضع المفترسون المحيطون بهم منافساتهم جانبًا.

إنَّ الهزائم المذلة والمعاهدات المهينة خاصة معاهدتي توركمنتشاي وباريس حطمت الكبرياء الوطني للبلاد، وقد أدى الفشل الذريع الذي حققته إيران في الحروب الروسية الفارسية وفقدانها لقلبها الجغرافي إلى خلق "صداع جيوسياسي" حاد لبلد يعتز بماضيه ويحمل "إحساسًا عميقًا بالعظمة". إنَّ شعور إيران بالعظمة الذي انبثق من الذاكرة الجماعية الحية لمجد البلاد قديمًا، كان بمثابة قوة دافعة رئيسية لكل من النظام السياسي والمجتمع تأثرًا بالتنوير الأوروبي، وبدأت طبقة ظهرت حديثًا من المثقفين الإيرانيين في البحث عن حل لتخليص البلاد من الإذلال الوطني (Tabatabaie، 2007)، ونظرًا لأنَّ مراجعة التاريخ تتلاعب بالذاكرة الجماعية، فقد ضخ هؤلاء المثقفون مطلبًا شعبيًّا للقوة الوطنية لاحتواء التهديدات الإقليمية والعالمية في مجتمع مدني حديث البناء من خلال تسليط الضوء على ماضي إيران المجيد.

وبما أنَّ مراجعة التاريخ تلعب دورًا مهمًا في بناء الوعي الوطني، وجَّه هؤلاء المثقفون طاقات الوطنية نحو إنشاء مجتمع مدني حديث يمكنه التعامل بفعالية مع التحديات الإقليمية والعالمية، وذلك من خلال التركيز على الإرث التاريخي الكبير لإيران مصدرًا للإلهام وتعزيزًا للهوية الوطنية.

قادت هذه الجهود إلى صعود المشاعر الوطنية في البلاد وبلغت ذروتها في نهاية المطاف بالثورة الدستورية عام 1906، وبعبارة أخرى فإنَّ الصداع الجيوسياسي المستمر جنبًا إلى جنب مع الشعور الوطني بالعظمة قد بلغ ذروته في الضغط الداخلي والثورة على أمل تحقيق التغيير وزيادة القدرة على احتواء التهديدات المحلية والعالمية.

ومع ذلك عانت إيران مجموعة من الكوارث خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، فعلى الرغم من إعلان إيران حيادها في كلتا الحربين المدمرتين، فإنَّ البلاد تعرضت للاحتلال بسبب موقعها الجيوستراتيجي وحقولها النفطية الشاسعة؛ ففي الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران ساحة معركة رئيسية في آسيا، حيث قاتل القيصر الروسي والمملكة المتحدة الجيش العثماني والطابور الخامس الألماني ولقد أدى انهيار الدولة إلى نزع الشرعية عن النظام الملكي القاجاري ومهّد الطريق لرضا خان -فيما بعد رضا شاه بهلوي- الذي أعاد توحيد البلاد وأعاد إحياء الأمن القومي.

فبعد أقل من ربع قرن تعرضت إيران للاحتلال في عام 1942، وهذه المرة من الجيش الأحمر السوفييتي والبحرية الملكية

البريطانية، بحُجة منع سقوط البلاد في الفلك النازي الألماني، وفي المرة التالية لم تتمكن إيران من الهروب من مصيرها المدمر المتمثل في الاحتلال الأجنبي.

استمر هذا النمط المدمر بعد الحربين العالميتين، حيث شهدت إيران ما بعد الحرب جولة أخرى من عدم الاستقرار، ففي أوائل الخمسينيات سعت حركة تأميم النفط بقيادة رئيس الوزراء محمد مصدق إلى إحياء سيادة إيران الكاملة من خلال تأميم النفط، ومع ذلك سرعان ما واجه نضاله الوطني المصير نفسه عندما حاصرت المملكة المتحدة البلاد عسكريًّا من الخليج وفرضت عقوبات على إيران. وفي نهاية المطاف أطاح الانقلاب المدبر البريطاني الأمريكي بحكومة مصدق الديمقراطية في عام 1953 وتحطم النضال الإيراني الطويل الأمد لتحرير البلاد من تدخلات القوى العظمى (Kinzer، 2008)، وعلى الرغم من البحث المستمر عن القوة لمنع الإذلال الوطني، لم تكن إيران قادرة على احتواء التهديدات الإقليمية والعالمية ويرجع ذلك إلى افتقار البلاد إلى إستراتيجية جيوسياسية في المنطقة.

`رابعًا: الشاه والجمهورية الإسلامية والسياسة الخارجية غير الدولتية لإيران

أخيرًا تمكنت إيران من تخليص نفسها من مصيرها الذي طال أمده والمتمثل في انهيار الدولة والحصار العسكري، وقد جاءت الفرصة لهذا التحول الحاسم في منتصف الحرب الباردة، ففي حِقبة ما بعد الانقلاب أصبحت إيران بهلوي الحليف الرئيسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ومن ناحية أخرى تزايد التسلل السوفييتي إلى المنطقة جنبًا إلى جنب مع المد المتصاعد للقومية العربية، ما تسبب في تكثيف التهديدات الخارجية لسلامة إيران الوطنية وقد وصلت هذه التهديدات إلى ذروتها مع انقلاب عام 1958 الذي أطاح بالنظام الملكي الهاشمي العراقي الموالي للغرب وخضعت جمهورية العراق لفلك موسكو.

كان انقلاب عام 1958 نقطة تحول في إستراتيجية إيران الجيوسياسية في المنطقة، فبينما هدد الزعيم العراقي الجديد عبدالكريم قاسم الموالي لموسكو الأمن القومي الإيراني من خلال مطالبته بالسيادة على إقليم خوزستان الغني بالنفط جنوب غرب إيران، تلقى السافاك -جهاز الاستخبارات الإيراني في العهد البهلوي- تعليمات من الشاه ببناء علاقة إستراتيجية مع الأكراد العراقيين الذين تعرضوا لسياسات التمييز العنصري من طرف حكومة بغداد، وبدعم كامل من إيران تمكن الملا مصطفى بارزاني الزعيم الكردي من تقييد آلة بغداد العسكرية وإبعاد التهديد العراقي القومي العربي لسلامة أراضي إيران.

كما دعمت إيران كيانًا أبعد بكثير وغير حكومي ألا وهو الشيعة اللبنانيون، ففي أواخر الخمسينيات اقترح العقيد مجتبى باشايي رئيس قسم الشرق الأوسط في السافاك، "مكافحة واحتواء التهديد في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط لمنع إراقة الدماء على الأراضي الإيرانية" (Reisinezhad، 2018: 1). وكانت هذه بداية دعم إيران للشيعة اللبنانيين، وفي الواقع زُرعت بذور الشبكات الشيعية الإيرانية-اللبنانية في منتصف الحرب الباردة وليس في عام 1979 (Reisinezhad، 2018: 2).

كان الدعم المباشر وغير المباشر للشيعة اللبنانيين خاصة الأكراد العراقيين، بمثابة بداية إستراتيجية إيران الجيوسياسية المبتكرة في الشرق الأوسط، التي تسمى "السياسة الخارجية غير الدولتية"، فلأول مرة في تاريخها الطويل تتمكن إيران من احتواء التهديدات الإقليمية من خلال سياستها الخارجية الفعّالة غير الدولتية، وطيلة فترة حكمه تمسك الشاه بهذا النوع من الإستراتيجية الجيوسياسية لاحتواء الماركسية والقومية العربية في المنطقة، ولم يتمكن الزعماء العراقيون بداية من قاسم والأخوين عارف وصولًا إلى البكر وصدام حسين من سحق الأكراد العراقيين –وكيل إيران البهلوية في هذا الوقت– إلى أنَّ اضطرت بغداد إلى التنازل في اتفاقية "أرفاند رود" في الجزائر عام 1975.

ومن المثير للاهتمام أنَّ إيران الثورية لم تغير سياسة إيران الخارجية غير الدولتية واستمرت في دعم الوكلاء العسكريين، ولو أنَّ هذه المرة كان معظمهم من الجهات الفاعلة الشيعية غير الحكومية في غرب آسيا. وباعتبارها دولة "وحيدة لكنها

عالمية" (Mesbahi ، 2011)، استثمرت إيران الجمهورية الإسلامية الإيرانية استثمارًا كبيرًا وحادًا في بناء القدرات الإستراتيجية من خلال سياستها الخارجية غير الدولتية لاحتواء الضغوط النظامية.

محفزة بفكرتها الثورية الشعبية حولت جمهورية إيران الإسلامية ترتيب القوة الجيوثقافية في المنطقة بشكل رئيسي من خلال معالجة سياسة خارجية ناجحة غير دولتية، وعلى الرغم من التناقض الحاد مع سياسة إيران البهلوية تجاه الولايات المتحدة، استخدمت الجمهورية الإسلامية الإستراتيجية الجيوسياسية نفسها في المنطقة، وتظهر هذه الحقيقة أنَّ سياسة إيران الخارجية غير الدولتية ليست سياسة أيديولوجية أكثر من كونها إستراتيجية جيوسياسية ذات جذور تاريخية وجغرافية عميقة تتمتع بقوى دافعة.

انعدام الأمن التاريخي وعقلية التطويق

أدى التدمير المتتابع للدولة والحصار العسكري المستمر إلى تأسيس شعور ب "بانعدام الأمن التاريخي" الدائم لإيران، وقد تجلت هذه الشخصية العميقة الجذور أيضًا في آراء القادة الإيرانيين بشأن الأمن القومي، إذ يعتقد معظمهم أنَّ البلاد تعاني مشكلة أمنية حادة ومتصاعدة (Reisinezhad، 2018: 327)، وقد ساوى هذا الرأي بين التنمية وتحقيق القوة خاصة في المجال العسكري وقد اختلفت رؤية الشاه للتحديث اختلافًا كبيرًا عن الوصفة الغربية، حيث اعتقد أنَّ الطريق إلى التحديث يمر عبر إعادة التنظيم العسكري المكثف، بدلًا من التنمية الاجتماعية والاقتصادية وشددت الجمهورية الإسلامية أيضًا على الإنجاز العسكري باعتباره عاملًا رئيسيًّا في التنمية والقوة الوطنية، وليس من الغريب أن تُعد مشروعات توطين الصواريخ الباليستية علامة بارزة على تطور البلاد، ففي الواقع يعتمد القادة الإيرانيون بقلة على العوامل الثقافية والاقتصادية في سعيهم إلى تعزيز القوة الوطنية بالمقارنة مع الجانب العسكري، وما يكمن أسفل هذا النمط المستدام هو الشعور بانعدام الأمن الذي يستمر في تحدي إيران.

وقد تجلى انعدام الأمن التاريخي في إيران أيضًا في ثقافتها الوطنية خاصة في التعامل مع الأجنبي، فمن خلال تسليط الضوء على التشاؤم وكراهية الأجانب ونظرية المؤامرة، تفتقر الثقافة الوطنية الإيرانية إلى عناصر تسهل الثقة والتعامل مع غير الإيرانيين خاصة القوى العظمى، وعلى نحو مماثل تعمل وجهة النظر هذه على تطبيع الروابط بين الأجانب/غير المؤمنين الخارجيين والجواسيس/المنافقين الداخليين داخل الثقافة الوطنية المهيمنة وعلم النفس السياسي في إيران (Reisinezhad, 2018: 330)، ويعمل هذا السياق على تسهيل إضفاء الطابع الأمني على المعارضين الداخليين، في حين يعمل في العموم على تعزيز قدرة الحكومة على التعامل مع الانتفاضات وأعمال الشغب الداخلية، ولهذا السبب فإنَّ تحدي النظام السياسي المركزي يُعد أمرًا صعبًا في بلد يعاني انعدام الأمن تاريخيًّا.

الضعف والاقتراب من مصادر التهديد

تمدنا التجارب التاريخية بأفكار حول معنى الجغرافيا (Gray and Sloan، 2014: 168)، ممَّا يشكل التأثير التاريخي للمعالم الجغرافية وَفقًا لفرناند بروديل ما يعرف بالتأثير الممتد"[1]، وهو مفهوم يشكل اتجاهات وسلوكيات تبقى ثابتة على مر الزمن (Lee and Braudel, 2012: 2).

لقد كان كولن جراي على حق عندما جادل جدالًا مقنعًا بأنَّ التأثير الممتد هو بمثابة هيكل معماري لا يتغير بمرور الزمن إلا

1 مصطلح (Longue durée) هو مصطلح فرنسي يستخدم في التاريخ والعلوم الاجتماعية للإشارة إلى الفترات الزمنية الطويلة جدًا في التاريخ ويشير إلى الفترات التي تمتد على مدى قرون أو حتى آلاف السنين، التي تؤثر في تطور الثقافة والاقتصاد والمجتمع دائمًا وتكون أكثر استدامة وثباتًا مقارنةً بالأحداث والتغيرات القصيرة الأمد. يعد هذا المصطلح أحد الأسس النظرية في تحليل التاريخ والتفكير في كيفية تأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية على الأحداث والسلوكيات على المدى الطويل.

قليلًا (Gray and Sloan ، 2014: 16)، ومن وجهة النظر هذه فإنَّ السمات الجغرافية المحددة لأي بلد هي التي تحرك الأنماط التاريخية.

تقع إيران في قلب الشرق الأوسط الكبير بين نهر النيل ونهر جيحون "أموداريا" وترى نفسها قلعة الشرق الأدنى، وكما يقول روبرت كابلان: "كما أنَّ الشرق الأوسط يمثل شكل رباعي الأطراف بالنسبة للأفرو-أوراسيا أي بالنسبة للجزيرة العالمية، فإنَّ إيران هي المفصل الخاص بالشرق الأوسط وينبغي نقل محور ماكيندر من سهوب آسيا الوسطى إلى الهضبة الإيرانية في الجنوب مباشرة" (Kaplan ، 2012: 158). والحقيقة أنَّ إيران تشكل محورًا استراتيجيًّا للغاية يمتد عبر مصب آسيا وإفريقيا وأوروبا ويقع بين الخليج الفارسي وبحر قزوين، فإنَّ القواعد المحددة للجغرافيا والتاريخ قوية في إيران حيث يصعب الدفاع عن سلامة أراضيها، وتشمل هذه الخصوصية عاملين هما "القرب الجغرافي من مصادر التهديد" و "الضعف الجغرافي" (Reisinezhad, 2018: 328).

عن القرب الجغرافي لإيران من مصادر التهديد قد كان له تأثير كبير على أمن البلاد وسياستها الإقليمية، ففي الماضي بذلت روسيا القيصرية جهدًا كبيرًا للوصول إلى مياه الخليج الفارسي، بينما اعتمدت المملكة المتحدة على توسيع نفوذها في إيران لتبعد التهديد عن شبه الجزيرة الهندية وتصاعد التهديد الروسي التاريخي مع تأسيس الإمبراطورية الشيوعية السوفيتية، في حين دفع اندلاع الحرب الباردة قوة عظمى جديدة -الولايات المتحدة الأمريكية- لتحل محل القوات البريطانية في الخليج. وفي هذا السياق قال الشاه: "نحن مجبرون على اعتبارنا دولة موالية للغرب، لأنَّنا لا نستطيع أن نثقَ في السوفييت أبدًا" (Alam, 1995: 328).

بعد ذلك أتاحت الثورة الإسلامية وأزمة رهائن السفارة ثُمَّ اندلاع الحرب الإيرانية العراقية، أرضًا خصبة للولايات المتحدة لبدء وجودها العسكري في الخليج العربي بموجب "عقيدة كارتر". أما عن قرب إيران من مصادر التهديد لم يختف بانهيار الاتحاد السوفييتي؛ بل تعمق بسبب الوجود الأمريكي المتزايد في المنطقة من خلال سلسلة من القواعد العسكرية في العراق وأفغانستان والساحل الجنوبي للخليج، باختصار لا يزال اقتراب إيران الجغرافي من مصادر التهديد قائمًا حتى اليوم، وبإضافة التواجد الأمريكي أصبح ذلك يشكل تهديدًا وجوديًّا لأمن البلاد.

بالإضافة إلى ذلك تعاني إيران تاريخيًّا هشاشتها الجغرافية، وهذا يشير إلى حقيقة عدم وجود حدود دفاعية طبيعية للبلاد (Reisinezhad ، 2018: 328). فعلى النقيض من المملكة المتحدة والولايات المتحدة -اللتين تحيط بأراضيهما البحار والمحيطات الشاسعة أو سويسرا التي تقع أراضيها في قلب سلسلة جبال- فإنَّ حدود إيران لا تتداخل مع خطوط الدفاع الطبيعية، مثل هذه الخاصية الحاسمة إلى جانب الموقع الجغرافي الإستراتيجي لإيران، جذبت تاريخيًّا قبائل ودولًا مختلفة إلى الهضبة الإيرانية، وفي المقابل شكلت حجر الأساس لـ "لعنة الجغرافيا" في إيران (Reisinezhad ، 2018: 329) فعلى مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، غزت العديد من الدول والقبائل إيران 232 مرة ومن جميع الاتجاهات، وعلى الرغم من السياسات الدفاعية المستمرة التي انتهجتها الحكومات المركزية الإيرانية، فقد تعرضت البلاد للدمار الوحشي على يد المقدونيين والعرب والمغول، ولو خلق الله جبالًا أو محيطات حول حدود إيران لما كانت هضبة إيران مكانًا مثاليًّا للغزاة، إنَّها تجسيد نموذجي لظاهرة "لعنة الجغرافيا".

تشير الجغرافيا أيضًا إلى الترابط بين الهُوية والمكان وليس فقط الحدود المادية، فعلى مر التاريخ اشتدت لعنة إيران الجغرافية بسبب خاصيتين حصريتين للبلاد، فإيران هي الدولة "الفارسية" و"المسلمة الشيعية" الوحيدة في الشرق الأوسط، والحقيقة إنَّ إيران محاطة ببحر من العرب الأتراك والسنة، إلا أنَّ الإيرانيين لم يفقدوا هُويتهم الفارسية وحضارتهم، بل على العكس نجحوا في فرسنة المقدونيين والعرب والترك والمغول الغزاة، كما مَيَّزَ الإيرانيون هُويتهم عن باقي المسلمين العرب والترك عبر اعتناقهم للإسلام الشيعي الاثنا عشري في هضبة إيران، ومنذ ذلك الحين ارتبط توسع المذهب الشيعي بالقوة الإقليمية لإيران. باختصار إنَّ انتماء الإيرانيين للعرق الفارسي والديانة الشيعية عَمَّقَ العزلة الإستراتيجية لإيران.

الشرق الأوسط ومحنة إيران الجيوسياسية

لقد كانت سياسة إيران الخارجية غير الدولتية جزءًا من إستراتيجية إيران الجيوسياسية المتمثلة في "الاحتواء" منذ عام 1958 (Reisinezhad، 2018)، لقد استهدفت السياسة الخارجية غير الدولتية لإيران المصممة لوقف إستراتيجيات الأعداء مجموعة محددة من التهديدات ضد أمنها القومي، وفي العقود التي تلت الثورة الإسلامية عام 1979 وسعت إيران علاقاتها الإستراتيجية مع وكلائها من المليشيات الشيعية لفصل نفسها عن سياسات القوى العظمى، مع تسليط الضوء على سياستها الإقليمية المستقلة لكن المعقدة، وكانت العلاقات الإستراتيجية مع وكلائها -ومعظمهم من الشيعة- في المنطقة بمثابة ركيزة أساسية إلى جانب برنامجها الصاروخي في سياسة إيران الدفاعية في المنطقة، وفي الواقع صُنِفَت هذه الروابط الإستراتيجية على أنَّها الأصول الرئيسية لإيران، على الرغم من أنَّها مدمرة في نظر خصوم طهران الإقليميين.

وعلاوة على ذلك كانت سياسة إيران الخارجية غير الدولتية أداة رئيسية لإضفاء الشرعية على دورها الحاسم في غرب آسيا، ولقد أدرك القادة الإيرانيون جيدًا أنَّ دور الدولة بمنزلة عملة القوة التي يمنحها لها جيرانها من خلال الاعتراف بشرعية مصالحها (Doran، 1971)، وتتلخص المشكلة المحورية هنا في أنَّ القوة الإقليمية التي تتمتع بها إيران الثورية لم تحظ بقبول جيرانها، الأمر الذي أدى بالتالي إلى اتساع الفجوة المتباينة بين قوتها الحالية ودورها الإقليمي المطلوب. وفي هذه الحالة تستثمر طهران بشكل أكبر في علاقاتها الإستراتيجية مع الكيانات غير الحكومية، وبعبارة أخرى كلما أُبْعِدَت إيران الأكثر ثورية عن عملية صنع القرار الإقليمي، تمسكت إيران بسياستها الخارجية غير الدولتية، ولذلك فإنَّ هذه السياسة الخارجية لديها القدرة على أن تكون أداة حاسمة في دفع الدول الإقليمية لمنح دور إقليمي كبير لإيران.

ومع ذلك فإنَّ سياسة إيران الخارجية غير الدولتية أدت عن غير قصد إلى تكثيف التوترات الإقليمية، ومن أهم الأسباب في ذلك أنَّ الشرق الأوسط الحديث لا يزال يفتقر إلى مؤسسة أمنية قوية وشاملة أو ميثاق (اتفاقيات) متعددة الأطراف. والواقع أنَّ الشرق الأوسط عبارة عن منطقة تشكلت بالصراع وتتمتع بمستويات أمنية محلية وإقليمية محدودة وشُكِل جزء كبير من الشرق الأوسط من خلال اتفاقية سايكس بيكو عام 1916؛ ولذلك كانت دول المنطقة –باستثناء إيران وتركيا– دولًا غير آمنة في مرحلة ما بعد الاستعمار وذات هُوية وطنية ضعيفة، وكانت الديناميكيات الإقليمية مدفوعة أيضًا بالمنافسات الأيديولوجية والانقسام الديني والعرقي وسياسات التنافس النفطي والنزاعات الحدودية وتنافس القوى الكبرى، ووَفقًا لباري بوزان فإنَّ الشرق الأوسط مجمع أمني إقليمي كلاسيكي يذكرنا بأوروبا ما قبل الحرب الباردة (Buzan and Waver, 2003: 187)، وقد تجلى ذلك بوضوح في أنماط قاسية من "العداء-الصداقة" (Buzan and Waver, 2003: 9) مثل المنافسة الفارسية-العربية-التركية، وكذلك المنافسة الشيعية-السنية والمنافسة الإسلامية/اليهودية، وكانت ديناميكية انعدام الأمن الإقليمي قوية ودائمة حيث لم تكن لدى القوى العظمى سيطرة فعالة على المنطقة، بل على العكس عمدت القوى العظمى سواء عن قصد أم عن غير قصد إلى تعميق أنماط العداء وتقليص احتمالات التعاون الإقليمي.

بالإضافة إلى ذلك يظل التعاون بين الدول خاصة التفاعلات الاقتصادية بين دول المنطقة ضئيلًا للغاية، وقد ساهم عدم تقاطع مصالح هذه الدول في تشويه حلم إقامة مؤسسة أمنية إقليمية، وفي هذا السياق المتوتر تظل "المعضلة الأمنية" قضية حاضرة دائمة، حيث تصور أفعال الدول حتى هذه التي تعد دفاعية على أنَّها أفعال هجومية، ولهذا السبب تصف دول الشرق الأوسط أفعالها بأنَّها ذات نوايا دفاعية، بعكس وصفهم لأفعال الآخرين بأنَّها أعمالها عدوانية هجومية، وليس من الغريب أن يكونَ الأمن والتهديد كلمات رئيسية ومطلبًا مشتركاً في الشرق الأوسط بما في ذلك في كلمات القادة الإيرانيين.

وفي هذا السياق أصبحت إيران محاصرة في المنطقة ضمن ما يمكن تسميته بـ "مجمع دفاعي هجومي" (Reisinezhad، 2018: 330)، وبوصفها دولة إستراتيجية وحيدة عانت إيران الافتقار إلى العوائق الجغرافية، مما يعني أنَّها لم تكن قادرة

قط على الدفاع عن أراضيها الشاسعة وحدودها التي يصعب السيطرة عليها في الأطراف، ومع ذلك فإنَّ سياسة إيران الخارجية غير الدولتية -إستراتيجيتها الدفاعية خارج حدودها من خلال بناء علاقات إستراتيجية مع الجهات الفاعلة غير الحكومية- يسهل تأطيرها على أنَّها إستراتيجية إيران "الهجومية" في الشرق الأوسط.

وفي المنطقة التي لا توجد فيها مؤسسة أو مؤسسات أمنية جماعية قوية وشاملة، فإنَّ استعراض القوة الدفاعية للدولة خارج حدودها سيؤطر على أنَّه تحركات مزعزعة للاستقرار، وبعبارة أكثر وضوحًا فإنَّ الافتقار التاريخي إلى مؤسسات الأمن الجماعي الإقليمي قد ترجم قرارات إيران وإستراتيجياتها وتحركاتها الدفاعية -في عهد بهلوي والجمهورية الإسلامية- إلى اعتبارها توسعية "فارسية" و/أو شيعية. إنَّه باختصار "المأزق الجيوسياسي" الدائم لإيران (Mesbahi، 2011).

على الجانب الآخر ينظر القادة الإيرانيون إلى "الاحتواء" الذي قادته الولايات المتحدة على أنَّه "تراجع" سينتهي في النهاية بتغيير النظام وانهيار الدولة في إيران ويعبر ذلك عن الجانب الآخر للمأزق الجيوسياسي لإيران.

إنَّ لعنة إيران الجغرافية وانعدام الأمن التاريخي -الذي يتجلى في عزلتها الإستراتيجية- بالإضافة إلى عدم وجود اتفاقيات ومؤسسات أمنية إقليمية جماعية أدت إلى تفاقم عزلة إيران الإستراتيجية، وبالتالي تزايد سياسة إيران الخارجية غير الدولتية، ومع ذلك فإنَّ هذه السياسة قد عرضت الأمن القومي الإيراني للخطر، وتتجلى مظاهر هذا الخطر في شقين:

الأول: إنَّ اتباع سياسة خارجية معقدة غير دولتية في الشرق الأوسط الذي تغذيه الأزمات يحتاج إلى موارد مالية ضخمة يمكن الاعتماد عليها، وعلى الرغم من أنَّ وكلاء إيران في المنطقة نجحوا على ما يبدو في إبعاد التهديدات عن الحدود الإيرانية، فإنَّهم استنزفوا الموارد المالية للبلاد، ولقد أدت العقوبات الأمريكية المعوقة ومن ثَمَّ الحرب الأهلية في سوريا إلى جانب الأزمة الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة في المجتمع الإيراني إلى إضعاف مصادر السياسة الخارجية الإيرانية غير الدولتية.

وفي الآونة الأخيرة فقدت إيران الشخصية الرئيسية في سياستها الخارجية غير الدولتية الجنرال قاسم سليماني، وفي الوقت نفسه عانت إيران افتقارها إلى القدرة على الردع، بل ولم تستطع إيران تحويل نفوذها السياسي والعسكري في العراق وسوريا ولبنان إلى مكاسب مالية قوية. وإنَّ عجز إيران المالي الحالي يظهر تراجعًا مهددًا لإمكانية توسع قوتها في المنطقة ومن دون القدرة على اتخاذ قرارات تحويلية كما في تسوية الأزمة النووية، فإنَّ العجز المالي الحالي في إيران يمهد لتراجع خطير في قوتها بالمنطقة (Sariolghalam، 2016: 101-139).

الثاني: أُضْفي طابع أمني على سياسة إيران الخارجية غير الدولتية من الغرب وأعداء إيران الإقليميين، حيث إنَّ دعمها للكيانات الإقليمية غير الحكومية خاصة حزب الله وحماس ومؤخرًا الحوثيين في اليمن، صوَّر إيران على أنَّها دولة كبرى "راعية للإرهاب" ووضعها في إطار تهديد كبير للسلم والأمن الدوليين. إن بناء وتضخيم خطاب «الخوف من إيران» هو المظهر الرئيسي لحملة «تضخيم التهديد» المناهضة لإيران (Rousseu and Rocio، 2006: 16-39) وهي السياسة التي فرضتها تل أبيب والرياض والبيت الأبيض لاحتواء قوة إيران المتنامية في المنطقة، والأهم من ذلك أنَّ علاقات إيران مع الجهات الفاعلة غير الحكومية أدت إلى إطالة أمد واتساع وعمق نطاق المعضلة الأمنية في المنطقة عامة وعقدت الهجوم والدفاع بالنسبة لإيران خاصة، ففي المنطقة التي لا توجد فيها مؤسسة أمنية جماعية قوية وشاملة، فإنَّ استعراض القوة الدفاعية للدولة خارج حدودها سيؤطر على أنَّه بمثابة تحركات مزعزعة للاستقرار، وبإيجاز فإنَّ الإصرار على المسار الحالي لسياسة إيران الخارجية غير الدولتية قد يعرض الأمن القومي الإيراني للخطر على المدى الطويل.

خامسًا: إطار جديد لتحليل إستراتيجية إيران الجيوسياسية

إنَّ الجغرافيا الفريدة لإيران وانعدام الأمن التاريخي يشكلان أبعادًا أساسية للسياسة والإستراتيجية الإقليمية الإيرانية، بالإضافة إلى موقعها بالإضافة إلى موقعها الجيوستراتيجي وقربها الجغرافي من مصادر التهديد، فإنَّ ضعف إيران الجغرافي وافتقارها إلى عوائق الدفاع الطبيعي ساهم في تشكيل مصير البلاد عبر الاحتلال الإقليمي والتطويق العسكري لأكثر من خمسة وعشرين قرنًا، وقد غذت هذه الحقيقة وحفزت انعدام الأمن التاريخي في إيران والناتج النهائي هو عزلة إيران الإستراتيجية، وبالنسبة لدولة تتمتع بإحساس عميق بالعظمة، فإنَّ العزلة الإستراتيجية التي تعيشها تدفعها إلى تبني إستراتيجية جيوسياسية ديناميكية . على وجه التحديد، سياسة خارجية غير دولتية بهدف الحفاظ على أمنها الوطني وسلامة أراضيها، في الواقع يكشف منطق الجغرافيا والتاريخ نفسه عن حقيقة أنَّ قدرات الردع النهائية لإيران اعتمدت في الأساس على قدرتها على استعراض القوة الخارجية (Reisinezhad، 2016)، ومع ذلك فإنَّ الافتقار إلى مؤسسات ومعاهدات الأمن الجماعي الإقليمية أدى إلى زعزعة مصداقية هذه الإستراتيجية الجيوسياسية، ورغم أنَّ السياسة الخارجية غير الدولتية التي تنتهجها إيران كانت فعالة جزئيًّا في الحفاظ على أمن البلاد، فإنَّها أضعفت مصادر إيران المالية، والأهم من ذلك أنَّها أوقعت البلاد في شرك مركب دفاعي هجومي دائم. إنها المعضلة الجيوسياسية الدائمة التي

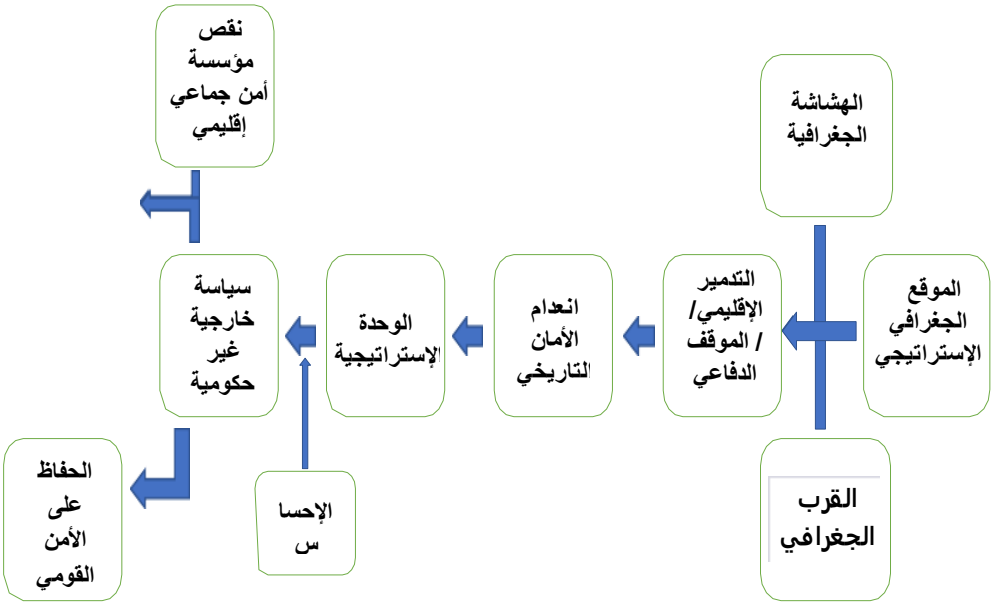

تواجهها إيران. (شكل 1)

الشكل رقم 1

لقد ساهمت جغرافية إيران وتاريخها الفريد في تشكيل إستراتيجيتها الجيوسياسية مساهمة حاسمة، ومع ذلك ينبغي أن يكونَ من المهم فصل الأسباب عن "الحتمية" الجغرافية والتاريخية، فللوهلة الأولى إنَّ التركيز على هذين العاملين يفتح الباب أمام القدرية بينما يتجاهل الفاعلية البشرية، كما أنَّ الجغرافيا والتاريخ لا يحددان بأي حال من الأحوال توجهات الدولة في استخدام القوة العسكرية والإستراتيجيات الإقليمية، في الواقع إنَّ الفاعلية البشرية مهمة لأنَّ الرجال هم الذين يقررون ويتخذون الإجراءات، ولا تزال هناك أمثلة تاريخية تغلب فيها الرجال على إملاءات الجغرافيا والأنماط التاريخية غير المقيدة، ومع ذلك "على المدى الطويل، فإنَّ أولئك الذين يعملون في انسجام مع التأثيرات البيئية سوف ينتصرون على أولئك الذين يكافحون ضدها" (Parker and Mackinder، 1982:121).

وحقيقة إنَّ الجغرافيا والاتجاهات التاريخية يحدان من الخيارات البشرية من خلال تقييد تصرفات الدول أو تحفيزها، وبمعنى أدق يوفران الجغرافيا والتاريخ الإطار الذي تُصاغ من خلاله وتُنفذ الإستراتيجية الجيوسياسية، فهما يضعان الخطوط العريضة التي يمكن تحقيق العمل من خلالها أو التي لا يمكن تحقيقها، وكما يجادل روبرت كابلان جدالًا مقنعًا "كلما ظللنا منشغلين بالأحداث الجارية، زادت أهمية الأفراد وخياراتهم؛ لكن كلما نظرنا على مدى قرون، لعبت الجغرافيا دورًا أكبر" (Kaplan، 2012: 28)، ولذلك فإنَّ التوازن بين الجغرافيا والتاريخ من جهة وقرارات وأفعال الرجال من جهة أخرى، أمر مهم لإجراء تحليل أعمق لسياسة إيران الإقليمية. باختصار تعملان الجغرافيا والتاريخ على سجن الزعماء الإيرانيين وتحديد خياراتهم وفرصهم للمناورة الإقليمية بدلًا من تحديدها ،فالأفكار تظهر ثم تختفي والقادة يولدون ثُمَّ يموتون؛ لكن ما يبقى دائمًا هو جغرافية إيران وتاريخها!

الخاتمة

لأكثر من نصف قرن كانت اتصالات إيران مع وكلائها بمثابة الإستراتيجية الجيوسياسية المحورية للبلاد التي صُممت لاحتواء التهديدات الإقليمية والعالمية، وعلى النقيض من وجهة النظر السائدة فإنَّ هذه الإستراتيجية لا ترجع إلى الأيديولوجية الثورية الإيرانية بقدر ما تمتد إلى جغرافيتها وتاريخها الفريد، وتبين الدراسة المرفقة أنَّ عزلة إيران الإستراتيجية هي نتاج تاريخي لجغرافيتها وتاريخها، كما ناقشت كيف أدت إستراتيجية إيران الجيوسياسية إلى تكثيف مأزقها الجيوسياسي وإيقاع البلاد في شرك المركب الهجومي الدفاعي. وفي ظل هذا الوضع يعد التعاون الإقليمي في العديد من المجالات خاصة عمليات حل الصراع أمرًا حيويًّا وضروريًّا لسياسة إيران الإقليمية، حيث إنَّ إنشاء مؤسسة أمنية ثنائية أو متعددة الأطراف تعتمد على التعاون مع الدول الإقليمية سيكون أمرًا بالغ الأهمية لاستقرار الشرق الأوسط، فمع خروج التوترات الإقليمية عن نطاق السيطرة، فإنَّ بناء أمن جماعي شامل مع مراكز القوى الثلاثية -طهران وأنقرة والرياض- من شأنه أن يؤدي إلى تهدئة المنافسة الجيوسياسية في المنطقة.

على الرغم من أنَّ العزلة الإستراتيجية تشكل قوة دافعة رئيسية لاستعراض إيران قوتها خارج حدودها، فإنَّ العزلة الإستراتيجية تضع مركز ثقل إيران داخل أراضيها الداخلية، ويظهر الاعتماد على الداخل أنَّ مركز ثقل إيران يرتكز على العلاقة بين الدولة والمجتمع بدلًا من التحالف الإستراتيجي مع القوى العظمى أو الجهات الفاعلة غير الحكومية. وبعبارة أخرى فإنَّ عزلة إيران الإستراتيجية تظهر أسسًا جوهرية ومستقلة للأمن القومي الإيراني، وفي هذا السياق يعد الدعم الشعبي والشرعية أهم الأصول الحيوية لدولة كانت حدودها تاريخيًّا منطقة حدودية دموية ولقد تجاهل شاه إيران الأخير هذه الحقيقة.

References

Alam, Assadollah. 1993. *Yad'dashtha-ye Alam: Virayesh va Muqaddamah az Alinaqi Alikhani* [The Alam Diaries: Edited by Alinaqi Alikhani], Vol. I: 1347–1348/1968–1969, Bethesda, MD: Iranbook.

Alam, Assadollah, 1995. Yad'dashtha-ye Alam: Virayesh va Muqaddamah az Alinaqi Alikhani [The Alam Diaries: Edited by Alinaqi Alikhani], Vol. II: 1349–1351/1971–1972, Bethesda, MD: Iranbook.

Alam, Assadollah. 1995. *Yad'dashtha-ye Alam: Virayesh va Muqaddamah az Alinaqi Alikhani* [The Alam Diaries: Edited by Alinaqi Alikhani], Vol. III: 1352/1973 Bethesda, MD: Iranbook.

Al-Balādhurī, Futuh al-Buldan. 1916. The Origins of the Islamic State: Translation with Annotations Geographic and Historic Notes of the Kitāb Futūḥ al-Buldān of al-Imâm abu-l'Abbâs Aḥmad ibn-Jâbir al-Balâdhuri. **1**. Translated by Philip Khuri Hitti. New York: Columbia University Press.

Axworthy, Michael. 2010. Sword of Persia: Nader Shah, from Tribal Warrior to Conquering Tyrant, I.B. Tauris; 1edition.

Buzan, Barry and Ole Waver. 2003. Regions and Powers: The Structure of International Security. Cambridge University Press.

Dandamaev, Muhammad. 1989. A Political History of The Achaemenid Empire, translated by Willem Vogelsang.

Daryaee, Touraj, 2014. Sasanian Persia: The Rise and Fall of an Empire, I.B. Tauris; 1 edition.

Dignas, Beate and Engelbert Winter. 2007. Rome and Persia in Late Antiquity: Neighbours and Rivals, Cambridge University Press, First Paper Back Edition.

Doran, Charles. 1971. The Politics of Assimilation: Hegemony and Its Aftermath, Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Ewans, Martin. 2004. The Great Game: Britain and Russia in Central Asia. Edited, Routledge Curzon, Milton Park.

Farrokh, Kaveh. 2007. Shadows in the Desert: Ancient Persia at War, Osprey Publishing.

Floor, Willem. 2009. The Rise and Fall of Nader Shah: Dutch East India Company Reports, 1730-1747, Mage Publishers.

Floor, Willem and Edmund Herzig. 2005. *Iran and the World in the Safavid Age,* International Library of Iranian Studies (Book 2).

Foster, John. 2006. The New Geopolitics of Empire, 57 Monthly Rev. 8. Frankopan, Peter. 2016. The

Silk Road: A New History of the World, Vintage;
Reprint edition.
Freedman, Lawrence, Paul Hayes and Robert O'Neill (eds.). 1992. War, Strategy and International Politics: Essays in Honour of Sir Michael Howard, Oxford Clarendon Press.
Gebb, Michael. 1983. 'Review: Anglo-Russian Rivalry in Central Asia, 1810-1895'. UCLA Historical Journal, Vol. 4, pp. 130–132.
Gerard, Maj.-Gen. 1897. Report on the Proceedings of the Pamir Boundary Commission. Calcutta, Office of the Superintendent of Government Printing, India.
Gray, Colin and Geoffrey Sloan. 2014. Geopolitics, Geography, and Strategy, Routledge.
Hinz, Walther, Darius und die Perser. Eine Kulturgeschichte der Achämeniden, 2 Bde. Baden-Baden 1976 / 1979.
Holland, Tom. 2005. Persian Fire: The First World Empire and the Battle for the West, Little, Brown.
Kaplan, Robert D. "The Revenge of Geography: What the Map Tells Us About Coming Conflicts and the Battle Against Fate," Random House; First Edition, September 11, 2012.
Kennan, George. 1947. The Sources of Soviet Conduct, Foreign Affairs.
Kinzer, Stephen. 2008. All the Shah's Men: An American Coup and the Roots of Middle East Terror, Wiley, 2 Edition.
Koch, Heidemarie. 1992. So Says King Darius ... Life in the Persian Empire, Saverne, Mainz, Cultural History of the Ancient World, Vol. 55.
Lee, Richard. Fernand Braudel. 2012. the Longue Duree, and World Systems Analysis. Albany, NY: State University of New York Press.
Mahmud, Mahmud. 1999. The Political Relations of Iran and Britain in the 19th Century [Ravabet-e Siasi-ye Iran va Engelestan], Eghbal Publisher.
Maksymiuk, Katarzyna. 2015. Geography of Roman-Iranian wars militaryoperations of Rome and Sasanian Iran, UPH.
Matthee, Rudi. 2011. Persia in Crisis: Safavid Decline and the Fall of Isfahan, I.B. Tauris.
Mesbahi, Mohiaddin. 2011. 'Free and Confined: Iran and the International System', Iranian Review of Foreign Affairs, Vol. 5, No. 2, pp. 9–34.
Mesbahi, Mohiaddin. 2013. 'Trust and U.S.-Iran Relations: Between the Prisoners' Dilemma and the Assurance Game', Iranian Review of Foreign Affairs, Volume 4 , No. 1, pp. 7–51.
Newman, Andrew. 2008. Safavid Iran: Rebirth of a Persian Empire, I.B. Tauris. Parker, W. H.
Mackinder. 1982. Geography as an Aid to Statecraft, Oxford:

Clarendon Press.
Parsi, Trita. 2007. Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran,and the United States, Yale University Press.
Rae, Cam, Leviathan vs. Behemoth. 2014. The Roman-Parthian Wars 66 BC- 217 AD, CreateSpace Independent Publishing Platform.
Reisinezhad, Arash. 2018. The Shah of Iran, the Iraqi Kurds and the Lebanese Shia, Palgrave Macmillan.
Rousseu, David and Garcia-Retamero, Rocio. 2006. 'Estimating Threats: The Impact and Interaction of Identity and Power' in American Foreign Policy and the Politics of Fear, edited by Trevor Thrall and Jane Cramer, London:Routledge.
Sariolghalam, Mahmoud. 2016. 'Nezam-e Beinolmelal va Geopolitik-e Jadid-e Khvarmianeh [International System and New Geopolitics of the Middle East]', Pajoheshnameh Oloum-e Siasi, pp. 101-139.
Sarkhosh Curtis, Vesta and Sarah Stewart. 2007. The Age of the Parthians, I.B. Tauris.
Sheldon, Rose Mary. 2010. Rome's Wars in Parthia: Blood in the Sand, Vallentine Mitchell.
Siegel, Jennifer. 2002. Endgame: Britain, Russia and the Final Struggle for Central Asia. I.B.Tauris, London.
Tabatabaie, Javad. 2007. On Iran: The Theory of Constitutionalism in Iran [Taamoli bar Iran: Nazariye-e Hooumat-e Ghanoon], Minou-ye Kherad.
Wright, R., and P. Baker. 2004. "Iraq, Jordan see threat to election from Iran: Leaders warn against forming religious state." The Washington Post, December 8.
Xenophon, Cyropaedia, 1997. translated by Miller, Walter, Cambridge: Harvard University Press.
Zarrinkoub, Abdolhossein. 1975. The Arab Conquest of Iran and its aftermath: in Cambridge History of Iran, Vol